موعظة بعنوان:

(إنما الأعمال بالخواتيم)

الحمد لله, والصلاة والسلام على رسول الله, وعلى آله وصحبه ومن والاه:

أما بعد :

أيها الناس :

لقد مضى من رمضان أكثر من النصف,وأوشك على الرحيل, فماذا قدمنا في رمضان؟ وكيف كان حالنا مع العبادات؟, فعلينا أن نتدارك ما بقي منه باغتنام أيامه بالصلاة والصيام, وقراءة القرآن,واغتنام لياليه بالقيام,والإكثار من الدعاء والاستغفار لا سيما بالأسحار.

فياعباد الله: من كان مقصرًا فيما مضى فليغتنم ما بقي, ومن كان محسنًا فيما مضى فليتزود لما بقي, وليختم هذا الشهر بالصالحات, فإنما الأعمال بالخواتيم, ثبت ذلك عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في صحيح البخاري عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ والمعنى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يجازي العبد على ما ختم له, فمن مات على عمل صالح بُعث عليه, فمن مات صائمًا فإنه يبعث صائمًا, ويكون من أهل الجنة .

فقد روى الإمام أحمد وغيره عَنْ جَابِرٍ ،ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : "مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ."

وروى الأمام أحمد أيضًا عَنْ حُذَيْفَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِلَى صَدْرِي فَقَالَ: " مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ

اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ".

وهكذا كل من مات على طاعةٍ فإنه يبعث عليها, ومن مات على معصيةٍ بُعث عليها, فعليك ـ أيها المسلم ـ أن تثابر على الطاعات وتداوم عليها, لعل الموت يدركك وأنت مشغول بطاعة ربك, ولا تلتفت إلى المسوّفين الذين يمنّون أنفسهم بالتوبة مستقبلًا,(وهم أصحاب سوف نتوب في المستقبل) ويتغافلون أن الموت يأتي بغتة , ولا يدرون متى يفجأهم الموت , حينها لا تنفعهم توبتهم ولا ينفع الندم, قال تعالى:{ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون : 99 ، 100]

وقال تعالى:{ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [الأنعام : 27]

فداوموا على الأعمال الصالحة, فإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلت, وإذ أحبَّ الله عبدًا وفقه لعمل صالح يداوم عليه ثم يقبضه عليه, فقد روى البزار وغيره عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ :"إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا عَسَلُهُ ؟ قَالَ : يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ"

وروى الحاكم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رضي الله عنه ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:"إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ قَالَ يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ"

فهنيئًا لمن وفقه الله للأعمال الصالحة وثبت عليها, ثم هنيئًا لمن خُتم له بعمل صالح مات عليه ,هنيئاً لمن مات على الإيمان والتوحيد والسنة.

واعلموا أن لحسن الخاتمة أسبابًا, فمن أهمها: إخلاص العمل لله تعالى.

ومن أسباب حسن الخاتمة: الدعاء في الثبات على الأعمال الصالحة حتى الممات .

ومنها: مجالسة الصالحين, والبعد عن جلساء السوء .

ومنها: معاهدة كتاب الله , بتلاوته, وتدبره, والعمل به .

ومنها: تقوى الله في السر والعلن,وفي الخلوة والجلوة,وفي الليل والنهار,وفي الحضر والأسفار.

وإياكم والرياء, والسمعة, والعُجب, والكِبر, فإنها من أعظم أسباب سوء الخاتمة,ويصدق على أصحاب هذه الصفات حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قَالَ قال رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-:«.. فَوَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا"متفق عليه.

وفي رواية عن سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ: قَالَ قال رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ».

قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ في جامع العلوم والحكم :"وقوله : ((فيما يبدو للناس)) إشارةٌ إلى أنَّ باطنَ الأمر يكونُ بخلافِ ذلك ، وإنَّ خاتمة السُّوءِ تكونُ بسبب دسيسةٍ باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس ، إما من جهة عمل سيئ ونحو ذلك ، فتلك الخصلة الخفية توجب سُوءَ الخاتمة عند الموت"اهـ

ـ أعاذنا الله وإياكم من السمعة والرياء والعجب والكبر ومن سوء الخاتمة.

اللهم أختم بالصالحات أعمالنا ,وتوفنا وأنت راضٍ عنا, اللهم توفنا مسلمين, وألحقنا بالصالحين, والحمد لله رب العالمين .